الحياة

(استعراض للحياة في شارع)

جلستُ يوماً حين حلَّ المساءْ
وقد مضى يومي بلا مؤنسِ
أُريحُ أقداماً وهتْ من عياءْ
وأرقبُ العالَمَ من مجلسي!

* * *

أرقبه! يا كَدّ هذا الرقيبْ
في طيّب الكون وفي باطلهْ
وما يبالي ذا الخضمُ العجيبْ
بناظر يرقب في ساحلهْ

* * *

سيان ما أجهلُ أو أعلم
من غامضِ الليلِ ولغزِ النهارْ
سيستمرُّ المسرحُ الأعظَمُ
روايةً طالت وأين الستار

* * *

عيتُ بالدنيا وأسرارها
وما احتيالي في صموت الرمالْ!
أنشدُ في رائع أنوارها
رشداً فما أغنمُ الاَّ الضلالْ!

* * *

أغمضتُ عيني دونها خائفاً
مبتغياً لي رحمةً في الظلامْ

فصـاح بي صـائحُهـا هـاتفـاً
كـأنمـا يـوقـظني من منـامْ:

* * *

أنت امـرءٌ تـرزحُ تحت الضنى
لم يبقِ منك الـدهـرُ إلا عنـادْ!
وكـل مـا تـبصـرهُ مـن سنـا
يهـزأ بـالجـذوة خلف الـرمـادْ!

* * *

وكـل مـا تُبصـره مـن قـوى
تـدوي دويَّ الريـحِ عند الهبـوبْ
يـسخـر مـن مبـتئس قـد ثـوى
يـرنـو إلى الـدنيـا بعين الغـروبْ!

* * *

أنـظرْ إلى شتى معـاني الجمـالْ
منبثـة في الأرض أو في السمـاءْ
ألا تـرى في كـل هـذا الجـلال
غيـر نـذيـرٍ طـالـعٍ بـالفنـاءْ!

* * *

كم غـادة بين الصبـا والشبـابْ
تـأنّق الصـانـع فـي صنـعهـا
تخـطرُ والأنـظار تحـدو الـركـاب
ولفـظة الإعجـاب في سمعهـا!

* * *

وربـمـا سـار إلى جـنـبـهـا
مـدلّـهٌ لـيس يبـالي الـرقـيـبْ

يمشي شـديـدَ العجب في قـربهـا
إذ راح يـوليهـا ذراَع الـحبـيبْ!

* * *

وأنـظر إلـى سيـارة كـالأجـلْ
تخـطفُ خطفاً لا تُبـالي الـزحـامْ
هذا الردى الجاري اختراع الرجلْ
هل بعد صنع الموت شيءٌ يُرامْ!

* * *

وانـظر إلى هـذا القـويِّ الجسـدْ
البـاتـر العـزم الشـديـد الكفـاحْ!
قـد أقبـل الليـلُ فـحيَّ الـجلد
في رجـلَ يـدأبُ منـذ الصبـاحْ

* * *

أجبتُ: يـا دنياي من تخـدعين؟!
إني امـرؤٌ ضـاق بهـذا الخـداعْ
مـزَّقتِ عن عيشي هنـيّ السنيـن
لأنـني مـزقـتُ عنـكِ الـقنـاعْ!

* * *

ان الجمـالَ السـاحـرَ الفـاتنـا
يـا ويحـه حين تغيـر الغضـون
ويـعبـثُ الـدهـرُ بحلو الجنَى
وتستـر الـصبغـةُ إثمَ السنينْ!

* * *

وهـذه الـسـيـارةُ الـعـاتـيـهْ
وربُهـا الجبـارُ كـالبـرقِ سـارْ

مـا هـي الا شُـعَـلٌ فـانـيـهْ
نصيبُهـا مـثـلُ شعـاع النهـارْ!

* * *

وارحـمـتـاه لـلـقـويِّ الـصـبـورْ
يقضي الليالي في كفاحٍ سخيفْ
وكيف لا أبكي لكـدح الفـقيـرْ
أقصى منـاه أن ينـال الـرغيفْ!

* * *

كم صِحتُ إذا أبصرتُ هذا الجهادْ
ومبسم الـذلـة فـوق الـجبـاهْ
يـا حسـرتـا مما يـلاقي العبادْ
أَكُـلُّ هـذا في سبيـل الحيـاهْ؟!

* * *

وفـي سبيـل الـزاد والـمـأكـل
نـمـلأ صـدرَ الأرضِ إعـوالا
كم يسخـر النجمُ بنـا مِن عـل
وكـم يـرانـا الـلّهُ أطـفـالا!

* * *

يـا ربِّ غفـرانـك إنـا صِغـارْ
نـدبّ في الـدنيـا دبيبَ الغـرورْ
نسحب في الأرض ذيـولَ الصغارْ
والشيـبُ تـأديبٌ لـنـا والقبـورْ!

* * *